الأحاديث الواردة في تفاصيل الكتب السماوية «أسماؤها، عددها، خصائصها» دراسة عقدية

أ. وجدان بنت عبد الإله الجحدلي*، د. عائشة بنت محمد القرني**

سلم البحث في ١٤٤٧/٨/٢٦هـ اعتمد للنشر في ١٤٤٧/٨/٢٨هـ

ملخص البحث:

يقوم البحث على جمع الأحاديث النبوية الواردة في تفاصيل الكتب السماوية من حيث أسماؤها وعددها وخصائصها، ودراستها دراسة عقدية تهدف إلى تقرير مفهوم الإيمان بالكتب السماوية، وبيان ما اتصل بتلك الأحاديث من مسائل عقدية مثل أقوال العلماء في الفرق بين التوراة ومايعرف بالألواح أو صحف موسى عليه السلام، تقرير هيمنة القرآن الكريم على الكتب السماوية السابقة، وكذلك التأكيد على وحدة مصدر الكتب السماوية ومفهوم العموم والخصوص فيها، وأوجه الاتفاق والاختلاف بينها. كما يتناول البحث ضوابط الحديث عن بني إسرائيل وحكم الاطلاع على الكتب السماوية السابقة وقراءتها في ضوء منهج أهل السنة والجماعة.

الكلمات المفتاحية: الكتب السماوية، وحدة المصدر، بني إسرائيل، صحف موسى، هيمنة القرآن.

Abstract

This study is based on the collection of Prophetic traditions (Hadiths) related to the details of the Divine Books, including their names, number, and characteristics, and their examination from a theological perspective. It seeks to clarify the concept of belief in the Divine Books through an analytical study of these Hadiths and to elucidate the principal theological issues that arise from them. These include scholarly discussions on the distinction between the Torah and what is referred to as the Tablets or Scrolls of Moses (peace be upon him), the affirmation of the Qur'an's supremacy over the previous Divine Books, the unity of their divine source, and the notions of generality and specificity, as well as their points of agreement and divergence. The study also addresses the regulations governing discussions concerning the Israelites and examines the ruling on consulting or reading the previous Divine Books in accordance with the methodology of Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah.

Keywords: heavenly books, unity of source, children of Israel, newspapers of Moses, dominance of the Qur'an.

* باحثة بتخصص العقيدة والدعوة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية- قسم الشريعة والدراسات الإسلامية, جامعة الملك عبد العزيز, المملكة العربية السعودية.

** أستاذ العقيدة المشارك بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة الملك عبد العزيز. المملكة العربية السعودية.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتب بالحق هدى للناس، وجعل الإيمان بها من أصول العقيدة ودليلا على التسليم بوحيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- المبعوث بالقرآن الكريم وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، إن الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان العبد إلا بتحقيقه على الصفة المرادة شرعا. وقد جاءت النصوص الشرعية مبينة أسماءها وعددها وخصائصها، ولقد قامت هذه الدراسة على جمع النصوص النبوية المتعلقة بذلك، وشرحها، واستنباط ماتضمنته من مسائل عقدية متعلقة بالإيمان بالكتب.

مشكلة البحث:

تتمثل في الحاجة إلى دراسة الأحاديث النبوية الواردة في شأن الكتب السماوية "دراسة عقدية" وتكشف ماتضمنته من مسائل عقدية متعلقة بتفاصيل الإيمان بالكتب السماوية من حيث أسمائها وعددها وخصائصها.

تساؤلات البحث:

يسعى البحث إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما حقيقة الإيمان بالكتب السماوية، وما معناه في العقيدة الإسلامية؟
- ماهي الأحاديث النبوية الواردة في أسماء الكتب السماوية وعددها وتوضح خصائصها؟
- ما الفرق بين التوراة وصحف موسى كما دلت عليه النصوص؟
- ما معنى هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة؟
- كيف يكون العموم والخصوص في الكتب السماوية السابقة؟
- ما ضوابط الحديث عن بني إسرائيل؟ وماحكم الاطلاع على الكتب السابقة وقراءتها؟

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في الجوانب الآتية:

١- البحث يتعلق بركنٍ عظيم من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالكتب السماوية.

٢- جمع الأحاديث النبوية وبيان دور السنة النبوية في تقرير المسائل العقدية المتعلقة بالكتب السماوية.

٣- العمل على توضيح وبيان المفاهيم العقدية المتصلة بالكتب السماوية والرد على الشبهات المعاصرة.

٤- تقرير المنهج الشرعي الصحيح في التعامل مع الكتب السماوية السابقة.

٥- الإفادة العلمية للباحثين وطلاب العلم في مجال العقيدة الإسلامية.

الدراسات السابقة:

تناولت مصنفات العقيدة الحديث عن الإيمان بالكتب السماوية على أنه واحد من أركان الإيمان الستة بشكل عام، وماورد فيه من نصوص شرعية تتعلق بذلك. وما قامت عليه الدراسة هو جمع الأحاديث النبوية المتعلقة بموضوع الكتب السماوية وما اختص بها من تفاصيل وخصائص، ودراستها دراسة عقدية باستنباط المسائل العقدية الأساسية والفرعية الواردة فيها، وهنا تبرز الحاجة إلى معالجتها بعمق وفق منهج أهل السنة والجماعة.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المناهج الآتية:

١- المنهج الاستقرائي: وذلك بجمع الأحاديث النبوية الواردة في شأن الكتب السماوية من مصادر السنة.

٢- المنهج التحليلي: من خلال شرح الأحاديث وبيان معانيها ودلالاتها العقدية.

٣- المنهج الاستنباطي: لاستخراج المسائل العقدية المتعلقة بالإيمان بالكتب السماوية من الأحاديث المدروسة.

٤- المنهج المقارن (عند الحاجة): بمقارنة أقوال أهل العلم في بعض المسائل العقدية المتعلقة بالموضوع.

خطة البحث:

المقدمة: وتتضمن، مشكلة البحث، تساؤولات البحث، و أهمية الموضوع، ومنهج البحث والتقسيم.

المبحث الأول: الإيمان بالكتب السماوية، حكمه ومعناه.

المبحث الثاني: شرح الأحاديث الواردة في تفاصيل الكتب السماوية .

المبحث الثالث: المسائل العقدية المستنبطة من الأحاديث، وهي:

- مفهوم الإيمان بالكتب السماوية تفصيلًا.
- الفرق بين التوراة وصحف موسى أو الألواح.
- هيمنة القرآن الكريم على الكتب السماوية السابقة.
- وحدة مصدر الكتب السماوية.
- العموم والخصوص في الكتب السماوية.
- أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكتب السماوية.
- ضوابط الحديث عن بني إسرائيل.
- حكم الاطلاع على الكتب السماوية السابقة وقراءتها.

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: الإيمان بالكتب، حكمه ومعناه

الكتب السماوية هي وحي الله تعالى الذي أنزله على رسله عليهم الصلاة والسلام لهداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور وبيان منهج الحياة، وفيما يلي بيان لمعنى الكتب، والإيمان بها.

أولا: معنى الكتب لغة:

الكتب في اللغة هي" جمع الكتاب"، والكتاب مصدر مشتق من الفعل (كَتَبَ) فالكاف والتاء والباء أصل في لغة العرب لمعنى الجمع والضم، أي جمعُ شيءٍ إلى شيء، والكتابة لمن تكون له صناعة مثل الصياغة والخياطة، وتسمي العرب الخياطة كتابة لأن الثوب يضم بعضه إلى بعض بها[١].

ثانيا: الكتب اصطلاحا:

الكتاب هو: اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، رحمة بالخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة، حتى خُتمت بأشرفها، وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب، والذي انتهى إليه كل خير، وهو الناسخ لما قبله. والإيمان بهذه الكتب إنما يكون على الكيفية اللائقة بها[٢]، كما سيأتي بيانها لاحقا.

وقد يكون معنى الكتب هو كل ما جمع وضم في كتاب مما أنزله الله على أنبيائه، كما أن المراد بالكتب قد يكون جميع ما أنزل الله من وحيه على رسله، سواء جُمع في كتاب أم لا. وذكر (الكتب) من باب ذكر الخاص وإرادة العام، أو ذكر الجزء وإرادة الكل؛ والسبب في ذكر ذلك أنه ليس كل نبي معه كتاب حيث قال تعالى: {قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦} [سورة البقرة: ١٣٦] فالله عز وجل يقرر في الآية أن الإيمان بالكتب هو الإيمان بجميع ما أنزله على الأنبياء والرسل، وبجميع ما أُوتوه. وقد ذكر سبحانه في موضع آخر {ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠} [سورة غافر: ٧٠] وتفسير ذلك هو بيان أن مع تكذيبهم لكتاب الله كذبوا بما أُرسل به الرسل من إخلاص العبادة لله والبراءة مما يعبد من دونه من الآلهة والأنداد، وكذلك الإقرار بالبعث بعد الممات والثواب والعقاب، وما إلى ذلك من مشاهد اليوم الآخر[٣].

---

[١] ينظر: مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: عبدالسلام هارون، د.ط(دار الفكر،١٣٩٩هـ)، ج١٥٨/٥. أيضا: لسان العرب، ابن منظور، ج٦٩٩/١.

[٢] ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ج٣٥٥/١.

[٣] ينظر: جامع البيان في تأول القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ط١(بيروت،

ثالثا: معنى الإيمان بالكتب جملة:

هو التصديق الجازم بأنها كلها منزلة من عند الله تعالى على رسله عليهم السلام إلى عباده بالحق والهدى، وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره، وأنه تعالى تكلم بها حقيقة، كما شاء، وعلى الوجه الذي أراد، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يكون بواسطة جبريل عليه السلام، والإيمانُ بكل ما فيها من الشرائع، وأنه كان واجبا على الأمم الذين نزلت إليهم الانقياد والحكم بما فيها، وأنه يُصدق بعضها بعضا، وأن القرآن خاتمٌ لها والمهيمن عليها، والناسخ لها، ولا كتاب بعده، والاعتقاد بما أخبر به القرآن من وقوع التحريف فيها، وأن القرآن الكريم هو المحفوظ من التبديل والتغيير والباقي إلى قيام الساعة. والإيمان بالكتب يعني الإيمان بها جملة، فمن كذب أو أنكر واحدا منها فقد أنكر البقية وكفر بها، كما أن الإيمان بالكتاب يتضمن الإيمان الكامل بما فيه وليس الإيمان ببعضه والكفر والترك للبعض الآخر[١].

المبحث الثاني: شرح الأحاديث الواردة في تفاصيل الكتب السماوية:

١-عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه [٢]أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ "[٣]. وفي رواية:" أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ "[٤].

شرح الحديث:

جاء الحديث النبوي للدلالة على بعض ما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم

مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ)، ج٢١/٤١٤. وراجع أيضا: (الإيمان بالكتب)، أ.د/ محمد عبد الرحمن الجهني، مجلة التوحيد، مصر،(العدد٤٤٥، ١٤٣٠هـ).

[١] ينظر: مختصر معارج القبول، أبو عاصم هشام عبدالقادر آل عقدة، ط٥(الرياض، مكتبة الكوثر، ١٤١٨هـ)، ص ١٩٣.

[٢] هو واثلة بن الأسقع ابن كعب بن عامر، أسلم سنة تسع وشهد غزوة تبوك، سكن دمشق، وتوفي سنة ٨٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، د.ط(القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٧هـ)، ج٤/٤١٠.

[٣] أخرجه أحمد في مسنده، (١٦٩٨٢) ج٢٨/١٨٨. ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، ط١(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ). صححه الألباني في (صحيح الجامع الصحيح وزيادته)، ج١/٢٤١ (١٠٥٩).

[٤] أخرجه احمد في مسنده، (١٦٩٨٤) ج٢٨/١٩١. قال الهيثمي: فيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث. وبقية رجاله ثقات. ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج١/١٩٧ (٩٥٩).

على سائر الأنبياء قبله، بأن ما أوتي من الكتاب يساوي الكتب السماوية الثلاثة مجتمعة، وزاد عليها بجزء، وهو ما يعرف بالمفصل، وكذلك جاء فيه بيان لأوقات نزول الكتب السماوية الثابت أسماؤها في القرآن الكريم. ويعتبر هذا الحديث عند العلماء أساسا في تقسيم السور القرآنية وموضوعاتها. وجاء في معنى (أعطيت مكان التوراة السبع) أي بدل ما فيها- وهي السبع الطوال؛ وسميت بذلك لأنها أطول سور القرآن، وأولها البقرة وآخرها براءة - بجعل الأنفال وبراءة واحدة. (وأعطيت مكان الزبور المئين) وهي ما كان من سور القرآن ما يزيد على مائة آية أو تقاربها، وهي ما بعد السبع الطوال. وأما (المثاني) التي أعطي مكان الإنجيل، فإنها ما ثَنَّى المئين فتلاها، وكان المئون لها أوائلَ، وكان المثاني لها ثوانيَ. وقد قيل: إن المثاني سميت مثاني، لتثنية الله جل ذكره فيها الأمثالَ والخبرَ والعبرَ. وهو قول ابن عباس. (وفضلت بالمفصل) ويسمى المحكم، وآخره سورة الناس اتفاقا. واختلف: هل أوله الحجرات أو الجاثية أو القتال أو ق أو الصافات أو الصف. ولقد رجح النووي أنها الحجرات، والمفصل له طوال وأوساط وقصار مفصلة[١].

٢-عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى " ثَلاَثًا[٢].

شرح الحديث:

إن هذا الحديث الشريف يروي محاجة آدم عليه السلام وموسى عليه السلام، وصحت الحجة في هذه القصة لآدم على موسى؛ من أجل أن الله قد غفر لآدم خطيئته، وتاب عليه، فلم يكن لموسى أن يعيره بخطيئة قد غفرها الله له، ولذلك قال له آدم: أنت موسى الذى آتاك الله التوراة، وفيها علم كل شيء فوجدت فيها أن الله قد قدّر علىّ المعصية، وقدر علىّ التوبة منها، وأسقط بذلك اللوم عنى، أتلومني أنت، والله لا يلومني. ومعنى (احتج آدم وموسى) أي: التقت أرواحهما في السماء فوقع هذا الحجاج بينهما، (خيبتنا) أي أوقعتنا في الخيبة، وهي الحرمان، (أخرجتنا من الجنة) هي دار الجزاء في الآخرة، وهي مخلوقة قبل آدم. و (خط لك بيده) الغرض منه كتابة ألواح التوراة. أما معنى (على أمر قدره الله) أي الكتابة في اللوح

---

[١] ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي القاهري، ط١(مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ)، ج١/ ٥٦٥. وراجع أيضا: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ط١(مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ)، ج١٠٣/١.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر (باب تحاج آدم وموسى عند الله) (٦٦١٤) ج١٢٦/٨.

المحفوظ. ومعنى (فحج آدم موسى) أي: غلبه بالحجة[١].

٣-عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ[٢]، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: " أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ } [سورة الأحزاب:٤٥]، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا "[٣].

شرح الحديث:

إن هذا الحديث الشريف يبين بعضاً من صفات النبي -صلى الله عليه وسلم- والتي جاءت في الكتب السماوية السابقة، وكانت بشارة به ودعوة ضمنية للإيمان به ممن يدركه، ودليلا على الاتفاق بين الكتب؛ لأنها كلام الله عز وجل. جاء في وصفه عليه الصلاة والسلام بأنه كان (حرزا) أي حصنا للأميين أي: للعرب، وهم كذلك؛ لأنه بعث فيهم، وغالبهم لا يقرأ ولا يكتب. (ليس بفظ) أي أنه عليه السلام ليس بسيء الخُلق ولا قاسي القلب. وهذا لا ينافي قوله تعالى {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ } [سورة التوبة:٧٣]؛ لأن النفي محمول على طبعه الذي جبل عليه، والأمر محمول على المعالجة. أو النفي بالنسبة للمؤمنين، والأمر بالنسبة للكفار والمنافقين. ومن صفاته أيضا أنه(ليس بسخاب) أي ليس بصياح في الأسواق على أهلها، بل يلين جانبه ويرفق بهم، وأيضا بواسطته وبكلمة التوحيد يفتح الله الآذان الصم والقلوب الغلف، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم[٤].

---

[١] ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢(الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ)، ج١٠/ ٣١٥. أيضا: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد العينى، د.ط (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج١٥٨/٢٣.

[٢] هو عطاء بن يسار المدني، كان إماما فقيها ثبتا حجة، وكان من ألزم أناس لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، سمع من ابن مسعود ومات سنة ١٠٣هـ وقيل قبل المائة. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ج٤٤٩/٤.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب(البيوع)، باب (كراهية السخب في الأسواق)، (٢١٢٥) ج٦٦/٣.

[٤] ينظر: منحة الباري بشرح صحيح البخاري، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق: سليمان العازمي، ط١(الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ)، ج٥٤٨/٤.

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ" [١].

شرح الحديث:

أن هذا الحديث الشريف يبين واحدة من أهم خصائص الكتب السماوية والرسالات التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ وهي: الاتفاق في الأصول والاختلاف في الفروع.

معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (أنا أولى الناس بابن مريم)؛ أي لأنه كان أقرب الرسل إليه، وأن دينه متصل بدينه، وأن عيسى كان مبشرًا به. و(أولاد علات) بفتح المهملة وشدة اللام، الإخوة لأب من أمهات شتى، فأولاد العلات: أولاد الضرات من رجل واحد، والمعنى: أن الأنبياء أصلهم واحد وفروعهم مختلفة، فهم متفقون في العقائد -المسماة بأصول الدين- مختلفون في الفروع وهي الفقهيات. وقيل: أراد أن الأنبياء يختلفون في أزمانهم، وإن شملتهم النبوة، فكأنهم أولاد علات لم يجمعهم زمن واحد، كما لم يجمع أولاد العلات بطن واحد[٢].

٥- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ -رضي الله عنها- ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ[٣]، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ:" لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ، النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللهَ لَا نُؤْذَى، ... قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ {كٓهيعٓصٓ ۝١} [سورة مريم: ١] قَالَتْ: فَبَكَى وَاللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُمِ الَيْكُمِ ابَدًا، وَلا أُكَادُ" [٤].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (أحاديث الأنبياء) ، باب (واذكر في الكتاب مريم)، (٣٤٤٣) ج٤/ ١٦٧.

[٢] ينظر: منحة الباري بشرح صحيح البخاري، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، ج٥٣٧/٦. أيضا: التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، فالح بن مهدي الدوسري، ط٣(المدينة المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية، ١٤١٣هـ)، ج٥١/٢.

[٣] هي أم سلمة أم المؤمنين هند بنت أبي أمية المخزومية، رضي الله عنها، كانت من المهاجرات الأول وآخر من ماتت من أمهات المؤمنين، عاشت نحو تسعين سنة. ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، التحقيق بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط٣(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ)، ج٢٠١/٢.

[٤] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (مسند أهل البيت رضوان الله عليهم)، (١٧٤٠) ج٢٦٣/٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، ط١(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ). صححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٥٧٨/٧.

شرح الحديث:

إن القصة الواردة في حديث أم سلمة -رضي الله عنها- والمتعلق بهجرة المسلمين، وموقف النجاشي من الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته يؤكد أن رسالة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- مصدرها واحد ومتوافقة في المضمون العام؛ لأنها من عند الله تعالى، وهذا يظهر من قول النجاشي(من مشكاة واحدة) وهذا أيضا فيه دلالة على أن القرآن الكريم مصدق لما قبله، وأن ما قبله تضمن البشارة به، فتطابقت حجج الله وبيناته على صدق أنبيائه ورسله. وعليه ،فإذا كان موسى- عليه السلام - صادقا وكتابه حقا فالقرآن كذلك؛ إذ إنه من المحال أن يخرج شيئان من مشكاة واحدة فيكون أحدهما باطلا محضا والآخر حقا محضا؛ وبذلك تنقطع المعذرة وتثبت الحجة، فلم يبق لكافر إلا العناد المحض والإصرار على رفض الإيمان والتسليم[١].

٦-عن عائشة[٢] وابن عباس[٣] -رضي الله عنهم- أن النبي صلى الله عليه وسلم لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرا[٤].

شرح الحديث:

من خصائص القرآن الكريم التي دل عليها هذا الحديث النبوي الشريف هو نزوله مفرقا، خلافا لما كانت عليه الكتب السماوية السابقة التي كانت تنزل جملة على الرسل عليهم الصلاة والسلام. ولقد جاء في شرح الحديث مدة نزول القرآن الكريم، وكان هناك اختلاف ظاهري في حساب المدة ما بين العشرة سنين في مكة أو ثلاث عشرة سنة؛ فالرسول -عليه الصلاة والسلام- بُعث، وهو في الأربعين من عمره وتوفي بعمر الثلاثة والستين، كما روت ذلك السيدة عائشة -رضي الله عنها- ، والجمع بين الأمرين يعود إلى قول من اختار زمن الفَتْرَةِ ثلاث سنين، فإنه نُبِّيء على رأس أربعين، وتُوُفِّي وهو ابن ثلاث وستين، فلو نقَّصت من مجموع عمره

---

[١] ينظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ج٢٠/٢٢٤. أيضا: صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر، ص١١٧.

[٢] هي عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بنت الصديق أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أفقه نساء الأمة على الإطلاق، تزوجها النبي عليه الصلاة والسلام بعد وفاة السيدة خديجة، وهي أحب زوجاته إليه، وتوفيت سنة ٥٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله الذهبي، ط.الرسالة. ج٢/١٣٥.

[٣] هو أبو العباس عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبدالمطلب، حبر الأمة وفقيه العصر وإمام التفسير. ولد في شعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، قائلا : "اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب"، توفي سنة ٦٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله الذهبي، ط.الرسالة، ج٣/٣٣١.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب(فضائل القرآن) باب (كيف نزل الوحي وأول مانزل)، (٤٩٧٨) ج٦/١٨١.

ثلاث سنين زمن الفَتْرَةِ، حصل عشرٌ، وعشر لإقامته بمكة والمدينة. ومنهم من قال: إنه ابتدئ بالوحي بعد الرؤيا الصادقة -التي كانت ستة أشهر- بسنتين ونصف[١]. إذاً، يمكن القول: أنه بُعث عليه الصلاة والسلام في الأربعين، وكانت مدة الوحي بـ (الرؤيا) ستة أشهر إلى أن جاءه المَلَك في رمضان من غير انقطاع، ثم انقطع عنه ثم تواتر وتتابع، فكانت مدة ذلك عشر سنين في مكة وعشرا بالمدينة[٢].

٧-عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ [٣]-رضي الله عنه-، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ وَقَالَ: " أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي"[٤].

شرح الحديث:

قبل شرح الحديث لابد من التنبيه على أن هذا الحديث يدل على كمال الشريعة الإسلامية ووضوحها، فهي شريعة كاملة ليس فيها حاجة إلى ما عند أهل الكتب السابقة، وقد بين الرسول -عليه الصلاة والسلام- سبب استنكاره على عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ألا وهو الخوف على هذه الأمة من أن يحصل عندها اللبس في الدين بقراءة الكتب السابقة، وذلك يظهر في قوله (لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به)؛ لأنها حُرفت وبُدلت.

أما شرح الحديث الشريف، فقوله -صلى الله عليه وسلم-: (أمتهوكون) أي: متحيرون، والتهوك التحير، وهو أيضا مثل التهوز، وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة. وفيه زجر، أي حتى لا

---

[١] ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر الشافعي، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي، ط١(دمشق، دار النوادر، ١٤٢٩هـ)، ج٢١/٦٤٠. أيضا: فيض الباري على صحيح البخاري، محمد أنور شاه الديوبندي، تحقيق: محمد بدر عالم، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ه)، ج١٨٢،٥.

[٢] ينظر: البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد بن علي آدم الأثيوبي، ط١(الرياض، دار ابن الجوزي، ١٤٢٦ه)، ج٣٦/٦٧٦.

[٣] جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي، الإمام الكبير، المجتهد، الحافظ، شهد ليلة العقبة مع والده، وكان والده من النقباء البدريين، استشهد والده يوم أحد. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ج٣/١٩٠.

[٤] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (مسند المكثرين من الصحابة)، (١٥١٥٦) ج٢٣/٣٤٩. قال عنه الألباني (حديث حسن)، ينظر: ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، ط٢(بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥ه)، ج٦/٣٤.

يكون عندكم تردد كما ترددت اليهود في ملتهم وتحيرت. وفيه: (لقد جئتكم بها بيضاء نقية) الضمير للملة. ووصفها بالبياض؛ تنبيها على كرمها وفضلها؛ لأن البياض لما كان أفضل لون عند العرب عبر به عن الكرم والفضل، حتى قيل لمن لم يتدنس بمعاب هو أبيض الوجه، و (نقية)، قريب من هذا المعنى. ويحتمل أن المراد بها كونها مصونة عن التبديل والتحريف، خالية عن التكاليف الشاقة. وأشار - صلى الله عليه وسلم - بذلك إلى أنه أتاهم بالأعلى والأفضل، واستبدال الأدنى عنه مظنة للتحير، لا سيما وقد شهد التنزيل على نَقَلَة تلك الكتابات بالفسق والفرية، فلا يؤمن عليهم أن يدسوا في تلك الكتابات ما يلبس على المؤمنين أمر دينهم. وقوله: "ولو كان مُوسى حَيًّا لما وَسِعَهُ إلا اتّباعي"، (لما وسعه)؛ أي: ما ينبغي له شيء غير اتباعي، بل لا بُدَّ له من اتباعي؛ يعني: لو كان موسى حيًا لا يجوز له أن يفعل فعلا أو يقول قولا إلا بأمري. فإذا كانت هذه حال موسى -عليه السلام- فكيف يجوز لكم أن تطلبوا فائدة منه، مع وجودي؟![1].

٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: { ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا } [سورة البقرة:١٣٦] "[2].

شرح الحديث:

هذا الحديث الشريف فيه إرشاد المسلمين لكيفية التعامل مع ما جاء في كتب الأمم السابقة، فقوله عليه الصلاة والسلام: "لا تصدقوا أهل الكتاب" يعني إذا حدثت اليهود والنصارى بشيء من التوراة والإنجيل فلا تصدقوهم، لعلهم حدثوكم بما هو محرف ومختلط منهما، ولا تكذبوهم أيضا؛ لاحتمال أن يكون حقا وصدقا، بل قولوا { ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا } وذلك اعتقادا بأنه إن كان حقا آمنا به؛ لأنا آمنا بجميع الرسل، وبما أنزل إليهم من الله تعالى، وإن لم يكن حقا فلا نؤمن به، ولا نصدقه أبدا[3].

---

[1] ينظر: الميسر في شرح مصابيح السنة، فضل الله بن حسن شهاب الدين التوربشتي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط٢(مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٩هـ)، ج٩٣/١. أيضا: المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود مظهر الدين الزيداني، التحقيق بإشراف: نور الدين طالب، ط١(الكويت، دار النوادر، ١٤٣٣هـ)، ج٢٨٢/١.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (تفسير القرآن)، باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)، (٤٤٨٥) ج٢٦/٦.

[3] ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي، تحقيق: د/عبدالحميد هنداوي، ط١(مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٧هـ)، ج٦٢٣/٢.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بتفاصيل الكتب السماوية

أولا: معنى الإيمان بالكتب تفصيلا:

إن الله سبحانه وتعالى جعل الإيمان بالكتب السماوية إيماناً بوجودها جملة وتفصيلا، ويشمل ذلك أحكاما عدة متعلقة بذلك، منها[1]:

١- التصديق الجازم بأن كلها منزلة من عند الله عز وجل على رسله، إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين، وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة، كما شاء وعلى الوجه الذي أراد، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يسمعه الرسول الملكي و يؤمر بتبليغه منه-سبحانه وتعالى- إلى الرسول البشري، كما قال تعالى: {۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾} [سورة الشورى: ٥١].

٢- الإيمان بما سماه الله، وهي: كالتوراة، والإنجيل والزبور والقرآن، وهو أفضلها وخاتمها، وهو المهيمن عليها والمصدق لها.

٣- الإيمان بأنها احتوت على شرائع كان واجبا على من نزلت عليهم اتباعها والانقياد لها والعمل بأحكامها، عدا القرآن الكريم، فإنه يجب على جميع الأمة ومن بلغته دعوة الإسلام بطريقة صحيحة اتباعه وتحكيمه، مع ما صحت به السنّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله سبحانه بعث رسوله محمدا -صلى الله عليه وسلم- رسولا إلى جميع الثقلين، وأنزل عليه هذا القرآن ليحكم به، وجعله شفاءً لما في الصدور وتبيانا لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين، قال تعالى {إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾} [سورة المائدة: ٤٤]. وقال تعالى{ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾} [سورة النحل: ٨٩].

٤- الاعتقاد الجازم بأن جميعها يصدق بعضها بعضا لا يكذبه، وأن كل من كذب بها جملة أو تفصيلا أو بشيء منها، أو رفض الانقياد لها، مع تعلق خطابه به، فإنه يكفر بذلك، قال تعالى عن الإنجيل: {وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى

---

[1] ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود، ط١(الدمام، دار ابن القيم، ١٤١٠هـ)، ج٢/ ٦٧٢-٦٧٤.

وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾} [سورة المائدة: ٤٦]، وقال تعالى عن القرآن الكريم: {وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ } [سورة المائدة: ٤٨] ، أما كفر من كذب بها فقد قال تعالى {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾} [سورة الأعراف: ٤٠].

٥- الإيمان بالنسخ، وذلك بأن الكتب الأولى يُنسخ بعضها ببعض، كنسخ بعض شرائع التوراة بالإنجيل، ونسخ التوراة والإنجيل بالقرآن. والإيمان بأنه لا كتاب بعد القرآن، وأنه ليس لأحد الخروج عن الإيمان بنبيه -صلى الله عليه وسلم- ولا الخروج عن شيء من أحكامه، وأن من كذب بالقرآن من أهل الكتب السماوية السابقة فقد كذب بكتابه.

أما ما يخص الإيمان بالقرآن الكريم على وجه الخصوص فإنه يكون بالإقرار به بالقلب واللسان، واتباع ما جاء فيه، وتحكيمه في كل كبيرة وصغيرة، والإيمان بأنه كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، أنزله الله لعامة الإنس والجن إلى يوم القيامة، وتولى حفظه بنفسه؛ لأن وظيفة هذا الكتاب لا تنتهي إلا بنهاية حياة البشر على الأرض؛ قال تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾} [سورة الحجر: ٩] وقال تعالى {لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾}[سورة فصلت: ٤٢] ويجب تحكيم هذا القرآن في جميع الخلافات، ويجب رد جميع النزاعات إليه، وقد جعل الله التحاكم إلى غير كتابه تحاكما إلى الطاغوت؛ قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ } [سورة النساء: ٦٠] [1].

بعد عرض مفهوم الإيمان بالكتب السماوية جملة وتفصيلا، يمكن تقسيم الناس تجاه ذلك الإيمان إلى ثلاثة أقسام: أولهم: الكفار والمشركون الذين رفضوا الانقياد لأي دعوة من الرسل، وامتنعوا عن اتباع أي كتاب. والقسم الثاني: من آمن بدعوة نبيه واتبع رسالته، أو القول بأنهم آمنوا بكل رسالة وكتاب، انتهاءً بدعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. والقسم الثالث: من آمن ببعض الكتب وكفر ببعضها، وهؤلاء هم اليهود والنصارى الذين امتنعوا عن الاستجابة لدعوة الإسلام ومن سار على نهجهم. ولا شك أن الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر كفر بالجميع؛ لأنه لا بد من الإيمان بجميع الكتب السماوية وبجميع الرسل؛ لأن الإيمان لا بد أن يكون مؤتلفا جامعا، لا تفريق فيه ولا تبعيض ولا اختلاف، والله تعالى ذم

[1] ينظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان الفوزان، ط٤(الرياض، دار ابن الجوزي، ١٤٢٠هـ)، ص١٧٥.

الذين تفرقوا واختلفوا في الكتاب[١]، كما قال تعالى {ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾} [سورة البقرة:١٧٦].

ثانيا: الفرق بين التوراة وبين صحف موسى عليه السلام أو الألواح:

إن هذه المسألة العقدية في الإيمان بالكتب قائمة على أن في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد ورد ذكر مسميات مختلفة لما أنزل على سيدنا موسى عليه السلام؛ قال تعالى {وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾} [سورة الأعراف: ١٤٥]، وقال تعالى {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾} [سورة النجم: ٣٦]، وقد سبق ذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "أوتيت مكان التوراة السبع.."، فهل هي أسماء لشيء واحد؟ أم أنها كتب متعددة؟ فذهب العلماء في المسألة إلى قولين:

القول الأول:

إن الصحف كتاب غير التوراة، ودليل ذلك قوله تعالى: {قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾} [سورة الأعراف: ١٤٤-١٤٥]، فاستدلوا بأن الصحف أعطيها موسى قبل التوراة، ويشهد لهذا حديث أبي ذر-رضي الله عنه- الذي جاء فيه: "قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى؟ قال: كانت عبرا كلها"[٢]. أما التوراة ففيها تفصيل الأحكام لبني إسرائيل[٣].

القول الثاني:

أن صحف موسى هي التوراة، وإلى هذا ذهب جمهور العلماء، منهم: مقاتل بن سليمان[٤] والبغوي[٥] وابن الجوزي[٦] وغيرهم.

---

[١] ينظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان الفوزان، ص١٧٤.

[٢] حديث ضعيف جدا، ضعفه الألباني، ينظر: ضعيف الترغيب والترهيب، محمد ناصر الألباني، ط١(الرياض، مكتبة المعارف،١٤٢١هـ)، حديث (١٣٥٢) ج٨٢/٢.

[٣] ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صالح آل الشيخ، ط١(دار الحجاز، ١٤٣٣هـ)، ج٤٣٦/١.

[٤] ينظر: تفسير مقاتل ابن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي، تحقيق: عبدالله محمود شحاته، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ)، ج١٦٥/٤

[٥] ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ج٣١٣/٤.

[٦] ينظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن الجوزي، ط١(بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ)، ج١٩١/٤هـ.

وحجتهم في هذا عدم الدليل على أن الله أنزل على موسى كتابين سمى أحدهما توراة والآخر صحفا، بل النصوص صريحة في تسمية ما أنزل على موسى توراة، وأما الصحف فهو أحد أسمائها. وهناك عدة أمور تجدر الإشارة إليها، منها [١]:

- أن الله سبحانه يسمى ما أنزله على أنبيائه من كتب بعدة أسماء، مع كونه كتابا واحدا، وذلك لمعانٍ معينة، فالقرآن سماه كتابا، وسماه فرقانا، وسماه النور، قال تعالى {ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢} [سورة البقرة: ٢]، وقال تعالى {تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١} [سورة الفرقان: ١]، وقال تعالى {فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨} [سورة التغابن: ٨]. وكذلك ما أنزله سبحانه على موسى -عليه السلام- سماه كتابا، وسماه فرقانا، قال تعالى {وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝٥٣} [سورة البقرة: ٥٣]، وكذلك سماه توراة، قال تعالى {نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣} [سورة آل عمران: ٣]. وكل هذه الأسماء بلا شك تدل على مسمى واحد.

- الله سبحانه وتعالى ذكر في القرآن الكريم أنه كتب التوراة بيده، قال تعالى {وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا } [سورة الأعراف: ١٤٥]، وقد جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في محاجة آدم وموسى عليهما السلام "كتب لك التوراة بيده"[٢] ومن يقول: إن التوراة غير الصحف، يقول : إن المكتوب هي الصحف، وهذه مخالفة صريحة لحديث مسلم من أن التوراة كتبها الله بيده، ولا دليل على أن الله عز وجل قد كتب كتابين لموسى عليه السلام.

- مع الإيمان الجازم بتحريف اليهود لما بين أيديهم من التوراة، إلا أنه يمكن اعتبار ذلك تأكيدا على أنه لا يوجد غيرها نزلت على موسى عليه السلام؛ حيث إنهم يرجعون لها ويتحاكمون بها ولم يرد عندهم ذكر شيء من الصحف.

ثالثا: دلالة حديث واثلة بن الأسقع -رضي الله عنه-على هيمنة القرآن الكريم على الكتب السماوية السابقة:

سبق شرح حديث رسول الله، وتحقيق المراد بالسور الواردة في حديث واثلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ومكان الزبور المئين ومكان

---

[١] ينظر: (صحف موسى)، د/بدر عبدالرحمن الغيث، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد(٥١) جمادى الأولى، ١٤٣٧هـ.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (٢٦٥٢) ج٤/٢٠٤٢.

الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل". وما سيتم تناوله في هذه المسألة هو بيان أوجه التشابه بين سور القرآن الكريم الواردة وبين الكتب السماوية، والتي جعلته مهيمنا، ليس فقط على كتاب واحد وإنما على التوراة والإنجيل والزبور جميعا.

إن الله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم هو خاتم الكتب السماوية والكتاب الباقي لقيام الساعة. وما اشتمل عليه مناسب للناس -على اختلافهم- لتحقيق الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، ولذلك جعل الله سبحانه سور القرآن الكريم جامعة وكافية عن كل ماورد في الكتب السابقة التي كانت مخصوصة لأمة معينة في زمن محدد، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضل كتابه الشريف.

ويمكن من خلال خصائص السور الواردة في الحديث السابق استقراء أهم الجوانب المتشابهة بينها وبين الكتب السابقة، مع ملاحظة أن تلك الأمور وردت في تلك الكتب مجزأة، كل كتاب على حدة، أما القرآن الكريم فقد جمعها كاملة فيه، فهو اشتمل على التوراة والزبور والإنجيل، ومقتضى ذلك أن السور التي هي مكان التوراة أن تتشابه مع ما في التوراة، والسور التي مكان الإنجيل أن تتشابه مع مضمونه، والزبور كذلك، وذلك ليس تكرارا للكتب السماوية، بل هو تلخيص وتأكيد ودلالة على الصدق المحمدي ووحدة المصدر والعقيدة، إضافة إلى ما خص الله سبحانه وتعالى بها النبي صلى الله عليه وسلم وهي المفصل[١].

وفيما يلي بيان مجمل لمناسبة التقسيم الوارد في الحديث لموضوعات الكتب السابقة[٢]:

١-السبع الطوال:

تحتوي على التشريعات الكبرى والعقائد وتفصيلات الأحكام من الحلال والحرام وهي تشابه ماجاء في وصف التوراة بأن ما فيها من أحكام أمر الله بها بني إسرائيل أن يطبقوها ويحكموا بها ووصفها بأنها "هدى ونور"، مثل" أحكام القصاص، ووصف الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته رضي الله عنهم، وتنظيم الأحوال المدنية والشخصية والشؤون الخارجية للدولة الإسلامية، قال تعالى {إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾

---

[١] ينظر: الزيادة والإحسان في علوم القرآن، شمس الدين محمد بن أحمد الحنفي المكي، ط١(الشارقة، مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقة الإمارات، ١٤٢٧هـ)، ج٦/٣٧٣.

[٢] ينظر: (دراسة حديث واثلة بن الأسقع: أعطيت مكان التوراة السبع الطوال)، د/مرهف عبدالجبار سقا، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، جامعة المجمعة، العدد١٢، ربيع الأول ١٤٣٩هـ.

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ [سورة المائدة: ٤٤-٤٥]، وقال تعالى {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾} [سورة الفتح: ٢٩].

٢-سور المئين:

وهي كل سورة عدد آياتها مائة أو تزيد، من سورة يونس إلى الحجرات، أو إلى (ق). وقد أخبر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأنها بديلة للزبور المنزل على داوود عليه السلام، وذلك لاشتمالها على مجموعة من المواعظ والتشريعات، وفيها من الذكر والتسبيح والتمجيد لله والكثير من التوجيهات الأخلاقية، كقوله تعالى {۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾} [سورة النحل: ٩٠].

٣-المثاني:

وهي كل سورة من القرآن دون الطوال ودون المئين وفوق المفصل، وقد تسمى سور القرآن كلها مثاني، قال تعالى {ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ} [سورة الزمر: ٢٣]، وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها لأمته بديلة عن الإنجيل؛ وذلك لأن غالب هذه السور فيها الحكم والأمثال والمواعظ، كما كان في الإنجيل، حيث إن عيسى عليه السلام كان عاملا بالتوراة وما تضمنته من تفصيل للأحكام، ولم ينسخ منه إلا القليل.

٤-المفصل من السور:

من الحجرات إلى آخر المصحف. ميز الله سبحانه وتعالى أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- بأن جعلها آخر الأمم وأكثرها أجرا، وجعل الإسلام هو الناسخ لكل الرسالات السابقة والمتمم لها. ولذلك، فبعد أن بين رسولنا الكريم في الحديث النبوي بعضا من التشابه في المضمون العام بين القرآن الكريم والكتب السابقة، ذكر ما تميز به عنها، مما يدل على هيمنته على تلك الكتب، مع الزيادة (بالمفصل من السور)، فهي جاءت تذكيرا للأحكام وتأكيدا عليها وعلى المواعظ التي وردت في السور السابقة لها بسور مفصلة قصيرة، وكأنها تعطي مثالا لهذه الأمة، والتي جاء كتابها مشتركاً مع ما قبله من الكتب في الأصول العقدية قبل أن تحرف، ومن

ثم تميز عليها بما حوته من أحكام وتشريعات صالحة لكل زمان ومكان، وتناسب أن تكون خاتمة للكتاب مثبتة للعقيدة، كما هو حال رسالة الإسلام بين الرسالات السابقة.

وأخيرا، فإنه لابد من التأكيد على أن تشابه مضمون السور في القرآن الكريم مع مضمون الكتب السابقة لا يعني أن العمل بها لا يزال صحيحا؛ فالقرآن جاء ناسخا لها ومهيمنا عليها ومحفوظا من التحريف الذي تعرضت له، فهو الكتاب المقبول عند الله بعد بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- والواجب على أتباع هذه الكتب التصديق به والإيمان بما جاء فيه.

رابعا: الاعتقاد الجازم بوحدة المصدر للكتب السماوية:

من أهم أصول الإيمان بنزول الكتب السماوية، والذي يعتبر أصلا عظيما من أصول هذا الركن، هو الإيمان بأنها منزلة من الله سبحانه وتعالى على رسله -عليهم الصلاة والسلام-، ومن يأتِ بخلاف هذا الاعتقاد فقد كفر بهذا الركن.

إن الله سبحانه وتعالى قرر هذا الأصل العظيم وأكد عليه في القرآن الكريم بأساليب متنوعة، من ذلك: أنه يفتتح بعض سور القرآن الكريم بالإخبار بإنزاله للكتب السماوية، كقوله تعالى {الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣} [سورة آل عمران: ١-٣]، وقوله تعالى في أول سورة الزمر: {تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١} [سورة الزمر:١]، والله سبحانه وتعالى جعل من ضمن صفات الإيمان والتقوى الإيمان بهذه الكتب المنزلة جميعا، قال تعالى {وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤} [سورة البقرة:٤]. ووحدة المصدر، وكونها من الله تعالى وكلامه على الحقيقة جعل الكتب السماوية منهج حياة لمن أنزلت عليهم، تنظم حياتهم العقدية والتعبدية. وهذه الجوانب لا يمكن أن تنظم بصورة صحيحة إلا إذا كانت منزلة من الخبير العليم سبحانه. وبرغم ذلك، إلا أن الكتب السماوية السابقة للقرآن الكريم لم يتبعها أقوامها وإنما حرفوها وبدلوها، لكن القرآن الكريم خاتمها وهو الباقي محفوظا من التبديل إلى قيام الساعة[١].

خامسا: الكتب السماوية ما بين العموم والخصوص:

من أهم ما يتعلق بخصائص الكتب المنزلة من الله سبحانه هو كونها عامة للجميع، أو خاصة بأمة معينة، مع التأكيد على أن الإيمان بها جميعا واجب، وأن إنكار واحد منها هو إنكار للبقية، بغض النظر عن عمومية الرسالة أو خصوصيتها، قال تعالى {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

[١] ينظر: الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، ط٤(الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ)، ص٢٣٧. أيضا: (الإيمان بالكتب) د/محمد الجهني، مجلة (التوحيد) العدد (٤٤٥)، ١٤٣٠هـ.

ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾} [سورة النساء: ١٣٦]، وهذه الآية تدل على وجوب الإيمان بكتب الله على وجه العموم، وبالقرآن الكريم على وجه الخصوص. وتنقسم الكتب السماوية المنزلة من عند الله تعالى إلى قسمين: عامة أرسلها الله سبحانه وتعالى لجميع البشر، وهذا خاص بالقرآن الكريم خاتم الكتب السماوية والمهيمن عليها، وكتب خاصة أُرسل بها الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى أقوامهم وفئة معينة كالتوراة والإنجيل والزبور. والتقسيم يرتبط بدلالة النصوص في هذه الكتب، من حيث شموليتها لجميع الناس ولجميع الأزمنة والأحوال والأماكن، أو أنه خاص بزمن معين. والله سبحانه وتعالى هو العليم الخبير جعل في هذا التقسيم حكمة عظيمة، من حيث إنه جعل كلامه في هذه الكتب يتناسب مع القوم المرسل لهم، من حيث القدرة، ومن حيث التضييق أو التوسيع في الأحكام، ومن حيث الثواب والعقاب لأفعالهم، إلى أن جعل الله سبحانه القرآن الكريم هو خاتم الكتب السماوية، وتكفل هو بحفظه إلى قيام الساعة، وجعل ما فيه عاما للبشرية، فيه سر سعادتها وطريقها للفلاح في الدنيا والآخرة[1].

سادسا: الاتفاق والاختلاف بين الكتب السماوية:

منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى البشرية كان هو مصدر الأحكام والتشريعات المتعلقة بأصول الدين والتوحيد أو بتشريعاته الفرعية والتعبدية؛ لأنه العالم -عز وجل- بما يوصلهم للفلاح وحسن الجزاء، والعالم بما يناسب مصالحهم واحتياجاتهم وينظم لهم أمور دينهم ودنياهم. والكتب السماوية التي أنزلها الله سبحانه على أنبيائه -عليهم الصلاة والسلام- جاءت محققة لذلك بما تحتويه. وعليه، فإن الكتب السماوية بينها جوانب مشتركة تتفق فيها لتحقيق ذلك، وبينها جوانب اختلاف، بحسب ما يقتضيه الزمان والمكان والأحوال وطبيعة الأمة المنزلة عليهم. وفي هذه المسألة سيتم الوقوف على أبرز جوانب الاتفاق والاختلاف بين الكتب السماوية.

أ- جوانب الاتفاق بين الكتب السماوية:

١ -وحدة المصدر والغاية: سبق وأن ذكرنا أن من أصول الإيمان بالكتب هو الاعتقاد الجازم بأن نزولها من عند الله سبحانه وتعالى، فهي كلامه على الحقيقة، وغايتها الهداية إلى كل خير، والتحذير من كل شر، قال تعالى {وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ } [سورة النحل:٣٦].

[1] ينظر: مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي الشيخ، ط١(الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ)، ص ٤٥٧.

٢- مسائل العقيدة: وهي الأحكام الواردة في الكتب السماوية، والتي تتعلق بالإيمان بالله وملائكته ورسله والبعث والنشور والجنة والنار، وما يتفرع عنها من مسائل أصول الدين، قال تعالى {* شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾} [سورة الشورى: ١٣]، وقال صلى الله عليه وسلم :" الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد". ولقد قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- "فالدين واحد وإنما تنوعت شرائعهم ومناهجهم كما قال تعالى: {وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾} [سورة المائدة: ٤٨]، فالرسل متفقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعملية، فالاعتقادية كالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر، والعملية كالأعمال العامة المذكورة في الأنعام، كقوله تعالى: {* قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾} [سورة الأنعام: ١٥١] وقوله: {* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ} [سورة الإسراء: ٢٣] إلى آخر الوصايا"[١].

٣-القواعد العامة المنظمة للحياة الإنسانية والمهذبة لسلوكيات الناس وفق ما أراده الله عز وجل[٢]: وذلك مثل الثواب والعقاب، قال تعالى{أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾} [سورة النجم: ٣٦-٤١]، وكذلك الحث على تزكية النفس والحرص عليه من خلال الالتزام بالطاعات والبعد عن السيئات، قال تعالى: {قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ

---

[١] مجموع الفتاوى، تقي الدين ابن تيمية، ج١٥/ ١٥٩.

[٢] ينظر: الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، ط٤(الكويت، دار لنفائس للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ)، ص٢٤٧.

إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾} [سورة الأعلى: ١٤-١٩]. وكذلك أن الاستخلاف في الأرض للصالحين والعاقبة لمن اتقى، قال تعالى {وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾} [سورة الأنبياء: ١٠٥]، وقال تعالى {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾} [سورة النور: ٥٥].

ب: جوانب الاختلاف بين الكتب السماوية:

الكتب التي أنزلها الله سبحانه وتعالى تحمل دينا واحدا، وهو الإسلام، فأصل العقيدة والقواعد العامة مشتركة ومتوافقة، إلا أن هناك اختلافا بينها في بعض الجوانب المتعلقة بها، من حيث التشريعات التعبدية واللغة وكيفية النزول والحفظ. وبيان ذلك في النقاط التالية:

١-الشرائع التعبدية: والاختلاف في الشرائع ليس في المسائل الأساسية وإنما في تفاصيل العبادات، مثل: عدد الصلوات وأركانها، مقادير الزكاة، وقد يبيح الله أمرا في شريعة لحكمة يريدها ويحرمه في شريعة أخرى لحكمة يعلمها هو سبحانه، ومثال ذلك: (الصوم) فقد كان الصائم يفطر عند غروب الشمس ويباح له الطعام والشراب والنكاح إلى طلوع الفجر مالم يَنم، فإن نام قبل الفجر حرّم عليه ذلك كله إلى غروب الشمس من اليوم الثاني، فخفف الله عن هذه الأمة وأحل ذلك من الغروب إلى الفجر سواء نام أم لم ينم، قال تعالى {أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾} [سورة البقرة: ١٨٧]. وكذلك ما حرمه الله على اليهود، كما ذُكر في سورة الأنعام {وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾} [سورة الأنعام: ١٤٦]، ثم جاء عيسى عليه السلام فأحل لبني إسرائيل بعض ما حرم عليهم، ثم جاءت الشريعة الإسلامية فكانت القاعدة فيها " إحلال الطيبات وتحريم الخبائث"[١].

[١] ينظر: الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، ص٢٥٠.

٢-صفة النزول: إن الكتب السماوية السابقة كان نزولها جملة واحدة، قال تعالى {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢} [سورة الفرقان: ٣٢] ودلالة الآية هو أن الله لم يكذبهم فيما ادعوا من نزول الكتب السماوية جملة، بل بين لهم الحكمة في نزوله مفرقا، ولو كانت الكتب السماوية نزلت مفرقة لكان كافيا في الرد عليهم أن يقول لهم: إن التنجيم سنة الله في الكتب التي أنزلت على الرسل عليهم الصلاة والسلام. أما القرآن الكريم فقد نزل به جبريل -عليه السلام- على النبي -صلى الله عليه وسلم- منجما مفرقا، على حسب الوقائع، والحوادث، وحاجات الناس، ومراعاة للظروف والملابسات[١].

٣-الحفظ والتبديل: الله سبحانه وتعالى جعل حفظ الكتب السماوية السابقة مسؤولية أقوامها التي نزلت عليهم اختبارا لهم. ولأن إرسال الرسل كان مستمرا، فإذا بُدل الدين أو حُرّف جاء من بعده نبي ورسول يوضح ويبين ذلك. وتلك الأقوام لم يقوموا بهذه المسؤولية والأمانة التي وضعت بين أيديهم فحرفوا كلام الله وبدلوه وافتروا على الله الكذب، ولم يبقَ لها نصيب من كلام الله إلا اسمها، قال تعالى {فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩} [سورة البقرة: ٧٩]، وقال تعالى {فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ} [سورة المائدة: ١٣]. أما القرآن الكريم فالله سبحانه جعله خاتم الكتب السماوية، والنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فجعله محفوظا بحفظه تعالى له من كل تبديل وتحريف، قال تعالى {إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩} [سورة الحجر:٩]، والقرآن الكريم هو القائم على الكتب السماوية والمهيمن عليها، ويأمر بالإيمان بها وذكر ما فيها من حق، وما ورد عليها من تحريف، لذلك فهو المرجع الأول والأخير في معرفة الطريق الصحيح في عبادة الله والتعرف عليه وعلى شرعه ومنهجه، والعباد مطالبون بالرجوع والتحاكم إليه[٢]، قال تعالى {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢} [سورة فصلت: ٤١-٤٢].

٤-العموم والخصوص: سبق ذكر المقصود بذلك، وهو أن الكتب السماوية السابقة كانت

---

[١] ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو شهبة، ط٢(القاهرة، مكتبة السنة، ١٤٢٣هـ)، ص٥٦، ٥٩.

[٢] ينظر: الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، ص٢٥٥.

مخصوصة بزمان ومكان وأمة معينة ينتهي العمل بها بعد نزول الكتاب التالي، أما القرآن الكريم فهو خاتم الكتب السماوية والعام لكل زمان ومكان والباقي لقيام الساعة.

سابعا: الحديث عن بني إسرائيل "حكمه وضوابطه":

من المسائل المتعلقة بالإيمان بالكتب السماوية هي مسألة الحديث عن "بني إسرائيل" باعتبارهم أهل الكتاب، أو ما يعرف "بالإسرائيليات"، وذلك في ذكر المسلمين لها في شروحات الحديث والتفسير، حيث إن هذه المسألة قد ورد فيها أدلة بالجواز والمنع، ولهذا سأتناول الحديث عنها من حيث معناها والمقصود بها، وأسباب دخولها، وأهم ضوابط التحديث بها، مع بيان الحكم في ذلك، من خلال الجمع بين الأدلة، وذلك على النحو التالي:

١-معنى "الإسرائيليات":

جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل هو "يعقوب عليه السلام" ومعناه: عبدالله، وبنو إسرائيل هم : أبناء يعقوب -عليه السلام- ومن تناسلوا منهم فيما بعد إلى عهد موسى وعيسى ونبينا محمد صلى الله عليهم وسلم جميعا. عُرف بنو إسرائيل باليهود منذ القدم، ومن آمن منهم بعيسى -عليه السلام- أصبحوا "النصارى"، ولقد كان خطابهم في القرآن الكريم بأهل الكتاب، وهو يشمل " اليهود والنصارى" ولكن في هذا السياق -الإسرائيليات- يراد بهم اليهود غالبا؛ لأنهم الذين سكنوا المدينة وما جاورها، ولأن أكثر الإسرائيليات دخلت عن طريق اليهود وما دخل عن طريق النصارى نسبته قليلة ولم يكن له من الآثار السيئة ما للإسرائيليات. فهي إذاً، لفظة يقصد بها الأخبار والقصص والأساطير المأخوذة من التوراة والتلمود والإنجيل [١].

٢-سبب دخول الإسرائيليات في بعض كتب التفسير والحديث:

يرجع وقت دخول الإسرائيليات إلى عهد الصحابة -رضي الله عنهم-؛ وذلك لوجود الاتفاق بين القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل، مع فارق واحد، وهو الإيجاز في القرآن، مع البسط والتفصيل في التوراة والإنجيل، فرجوع بعض الصحابة إلى أهل الكتاب الذين كانوا يسكنون في مكة والمدينة كان فيما يتعلق بالقصص الموجودة في القرآن، باعتباره مصدرا للتفصيل عما طواه القرآن الكريم، أو ذكره مختصرا، حيث لم يجدوا من يخبرهم بالتفاصيل إلا من دخل منهم في الإسلام. ولابد من التنبيه على أن الصحابة -رضوان الله عليهم- لم يسألوا أهل الكتاب ولم يقبلوا منهم كل شيء، بل كانوا يسألون عما هو من باب الاستئناس بالقصة والتوضيح لها، مع توقفهم فيما يسمعونه منهم، فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب مادام يحتمل كلا الأمرين؛ وذلك امتثالا للحديث السابق الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم:

---

[١] ينظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد أبو شهبة، ط٤(القاهرة، مكتبة السنة، د.ت)، ص١٢.

"لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم". أيضا الصحابة -رضوان الله عليهم- لا يسألون عن أمر متعلق بالعقيدة أو بالأحكام الشرعية، وكذلك لا يسألون عن أمر تبين لهم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فما ثبت عنه لا يعدلون عنه إلى سؤال غيره. وأيضا كانوا -رضوان الله عليهم- لا يسألون في أمور تعد من اللهو والعبث، مثل: لون كلب أهل الكهف، أو اسم الغلام الذي قتله الخضر وغيره. وكانوا لا يصدقون اليهود فيما يخالف الشريعة الإسلامية، أو يتنافى مع العقيدة، بل على العكس كانوا يردون عليهم الخطأ ويبينون وجه الصواب في المسألة[١].

حكم الحديث عن بني إسرائيل وضوابط ذلك:

إن الاستشهاد بالإسرائيليات عند علماء المسلمين يدور في فلك ثلاثة أقسام، ويتعلق الحكم فيها بالجواز والمنع بناء على ذلك، وهي كالتالي[٢]:

١- ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن والسنة. والقرآن هو: الكتاب المهيمن، والشاهد على الكتب السماوية قبله، فما وافقه فهو: حق وصدق، وما خالفه فهو: باطل وكذب. وهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غنية عنه، ولكن يجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم. وفي هذا القسم ورد قوله: صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوَّأ مقعده من النار"[٣]، ومثال هذا النوع هو ما جاء من وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم، وكان متوافقا مع ما جاء في الكتب السابقة.

٢- ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه، وذلك مثل: ما ذكروه في عقيدتهم بالله تعالى ووصفه بما لا يليق به تعالى، وكذلك ما يذكرونه من قصص الأنبياء، من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وهذا هو ماورد فيه قوله تعالى: {مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ٤٦} [سورة النساء:٤٦]. وهو ما جاء فيه النهي من الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة رضوان الله عليهم وزجرهم عن أخذه

---

[١] ينظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، ط٥(القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٢٥هـ)، ص٢٢، ٥٠، ٥١.

[٢] ينظر: مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، د.ط(بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٠م)، ص٤٢. أيضا: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد أبو شهبة، ص١٠٦-١٠٧.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (أحاديث الأنبياء)، باب (ما ذكر عن بني إسرائيل) (٣٤٦١) ج٤/١٧٠.

منهم، ولقد قال ابن عباس -رضي الله عنه-:" يا معشر المسلمين: كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث، تقرؤونه محضا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله، وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله، ليشتروا به ثمنا قليلا، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم"[١].

٣- ما هو مسكوت عنه، لا من هذا، ولا من ذاك، فلا نؤمن به، ولا نكذبه؛ لاحتمال أن يكون حقا فنكذبه، أو باطلا فنصدقه، وتجوز روايته، وهو المقصود بما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: "كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أنزل إليكم"[٢].

ثامنا: حكم الاطلاع على الكتب السماوية وقراءتها:

من المعلوم من الدين بالضرورة أن الكتب السماوية هي كلام الله تعالى الذي أنزله على أنبيائه، وهو الركن الثالث من أركان الإيمان، فلا يستقيم إيمان المسلم إلا بالإيمان بها جملة وتفصيلا، ولكن أيضا يستلزم الإيمان بها الإيمان بتحريفها وتبدلها من قبل أتباعها، كما ذكر الله تعالى في القرآن الكريم، قال تعالى {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾} [سورة البقرة: ٧٩]، والله سبحانه وتعالى أبدلنا ما في التوراة والإنجيل بالحق المذكور في القرآن الكريم المهيمن عليها، قال تعالى {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾} [سورة العنكبوت: ٥١]، والرسول -عليه الصلاة والسلام- نهى الصحابة -رضوان الله عليهم- عن اتباع كتب غير القرآن؛ ولهذا غضب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على عمر -رضي الله عنه- عندما وجد بيده الصحيفة من التوراة، كما تقدم في الحديث. فالقرآن قائم بذاته، وهو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة[٣].

أما الاطلاع على التوراة والإنجيل فهو مما لا فائدة منه للمسلم ولا ينتفع منه، ولقد

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة)، باب (قول النبي صلى الله عليه وسلم" لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء)، (٧٣٦٣) ج١١١/٩.

[٢] سبق تخريجه.

[٣] ينظر: مجموع الفتاوى، تقي الدين ابن تيمية، ج٤١/١٧.

قسم العلماء الناس في ذلك إلى قسمين:

القسم الأول هو المسلم العامي، ومن في معناه، أو من ظن أنه قد يستفيد في دينه بهذه المطالعة. وهذا لا تجوز له المطالعة؛ وذلك لأن كل ما هو نافع موجود في القرآن الكريم، وحفاظا على سلامة المعتقد والتصور لمن هو ليس من أهل العلم، جاء في روضة الطالبين "وكتب التوراة والإنجيل مما يحرم الانتفاع به؛ لأنهم بدلوا وغيروا"[١].

القسم الثاني وهم الراسخون في العلم، والذي كان سبب اطلاعهم عليها مجادلة اليهود والنصارى وإقامة الحجة عليهم والرد على باطلهم، فهؤلاء يجوز لهم مطالعة كتبهم؛ لأن خوف الفتنة غير موجود، وعندهم من العلم والفهم لتفاصيل الدين وعمقه ما جعلهم مؤهلين لمعرفة الباطل والكذب الموجود في هذه الكتب، والحذر من الافتتان به، بل ورده وإفحام أهله. قال ابن حجر في فتح الباري: "الأولى في هذه المسألة التفرقة بين من لم يتمكن ويصر من الراسخين في الإيمان فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك بخلاف الراسخ فيجوز له ولا سيما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف ويدل على ذلك نقل الأئمة قديما وحديثا من التوراة وإلزامهم اليهود بالتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم بما يستخرجونه من كتابهم ولولا اعتقادهم جواز النظر فيه لما فعلوه وتواردوا عليه"[٢].

إذاً، فإن المسلم عليه أن يعلم أن الله سبحانه أبدله بالقرآن الكريم كاملا ناسخا لما سبقه من الكتب ومهيمنا عليها، وراسما له منهج فلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة، وألا ينشغل عنه بغيره، مالم يكن من الدعاة والعلماء المتمكنين والمهتمين بالرد على أصحابها الذين حرفوها، والله المستعان.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة الأحاديث الواردة في الكتب السماوية من حيث" أسمائها وعددها وخصائصها" وخلصت الدراسة إلى إبراز دور السنة النبوية في تقرير أصل الإيمان بالكتب السماوية فهي مكملة لبيان القرآن الكريم في هذا الباب، والكشف عما يتفرع عنه من مسائل عقدية، ودراستها وفق منهج دقيق مقررا في ذلك المنهج الوسطي الصحيح وجامعا بين نصوص الكتاب والسنة وبيان مقاصدهما في تقرير أصول الإيمان، وفيما يلي أبرز النتائج والتوصيات.

---

[١] روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: زهير الشاويش، ط٣(بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ)، ج١٠/٢٥٩.

[٢] فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح واشراف: محب الدين الخطيب، تعليق: الشيخ عبد العزيز بن باز، د.ط (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ج١٣/٥٢٥-٥٢٦.

نتائج البحث:

١- إن الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بالإقرار به جملة وتفصيلا، على الوجه الذي دلت عليه النصوص الشرعية.

٢- القرآن الكريم هو الكتاب الخاتم المهيمن على ماسبقه من الكتب السماوية، مصدقا لما بقي صحيحا منها وناسخا لها، ومحفوظا من التحريف والتبديل.

٣- الكتب السماوية تشترك في وحدة المصدر وأصول الإيمان والعقيدة، وتختلف في الشرائع والأحكام.

٤- وجود جوانب اتفاق واختلاف بين الكتب السماوية من حيث المصدر والموضوعات والتشريعات و من حيث العموم والخصوص بحسب الأمم المخاطبة بها.

٥- الحديث عن بني إسرائيل تحكمه ضوابط شرعية دلت عليه نصوص الوحي بما لا يخالف الشرع دون تصديق مطلق أو تكذيب تام.

٦- إن حكم الاطلاع على الكتب السماوية السابقة وقراءتها يختلف باختلاف القارئ وغايته، ويشترط فيه أمن الفتنة وسلامة المعتقد.

توصيات البحث:

١- توجيه الباحثين إلى إجراء المزيد من الدراسات العقدية المقارنة المتعلقة بالكتب السماوية، مع التركيز على اعتقاد المسلمين في هذا الباب.

٢- حاجة المجتمع اليوم إلى إبراز مفهوم هيمنة القرآن الكريم وربطه بالدراسات العقدية والفكرية المعاصرة؛ للرد على الشبهات المثارة حول وحدة الأديان أو تساوي الكتب السماوية.

٣- تعزيز بيان وشرح ضوابط الحديث عن بني إسرائيل وأحكام التعامل مع الكتب السماوية السابقة وفق ماقرره أهل العلم الموثوق بهم.

٤- التأكيد على أن الدراسات الشرعية تقوم على الجمع بين النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في تقرير مسائل الدين فلا يجوز الاكتفاء بأحدهما دون الآخر.

قائمة المصادر والمراجع:

- الأثيوبي، محمد بن علي آدم، البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط١(الرياض، دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ).
- الأزدي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل ابن سليمان، تحقيق: عبدالله محمود شحاته، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ).
- الأشقر، عمر سليمان، الرسل والرسالات، ط٤(الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ).
- الألباني، محمد ناصر الدين، ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، إشراف: زهير الشاويش، ط٢(بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ).

- الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ط١(الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ).
- الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الترغيب والترهيب، ط١(الرياض، مكتبة المعارف،١٤٢١هـ)، حديث (١٣٥٢).
- الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، د.ط(الناشر المكتب الإسلامي، د.ت).
- الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد، منحة الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: سليمان العازمي، ط١(الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ).
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه " صحيح البخاري"، تحقيق: محمد زهير الناصر،ط١ (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢(الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ).
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم، مجموع الفتاوى، د.ت(المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ).
- ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد، مقدمة في أصول التفسير، د.ط(بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٠م).
- التوربشتي، فضل الله بن حسن شهاب الدين، الميسر في شرح مصابيح السنة، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، ط٢(مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٩هـ).
- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن، زاد المسير في علم التفسير، ط١(بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ).
- الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود، ط١(الدمام، دار ابن القيم، ١٤١٠هـ).
- الدوسري، فالح بن مهدي، التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، ط٣(المدينة المنورة، مطابع الجامعة الإسلامية، ١٤١٣هـ).
- الديوبندي، محمد أنور شاه، فيض الباري على صحيح البخاري، تحقيق: محمد بدر عالم، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ).
- الذهبي، محمد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ط٥(القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٢٥هـ).
- الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، د.ط(القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٧هـ).
- الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، د.ط(دار الفكر،١٣٩٩هـ).
- الزيداني، الحسين بن محمود مظهر الدين، المفاتيح في شرح المصابيح، التحقيق بإشراف: نور الدين طالب، ط١(الكويت، دار النوادر، ١٤٣٣هـ).
- أبو شهبة، محمد بن محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط٢(القاهرة، مكتبة السنة، ١٤٢٣هـ).
- أبو شهبة، محمد بن محمد، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ط٤(القاهرة، مكتبة السنة، د.ت).
- الشيباني، أبو عبدالله أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،

عادل مرشد، ط١(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).
- آل الشيخ، صالح بن عبدالعزيز، شرح العقيدة الطحاوية، ط١(دار الحجاز، ١٤٣٣هـ).
- الشيخ، ناصر بن علي، مباحث العقيدة في سورة الزمر، ط١(الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ).
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأول القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، ط١(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).
- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبدالله، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، تحقيق: د/عبدالحميد هنداوي، ط١(مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٧هـ).
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح واشراف: محب الدين الخطيب، تعليق: الشيخ عبد العزيز بن باز، د.ط (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).
- آل عقدة، أبو عاصم هشام عبد القادر، مختصر معارج القبول، ط٥(الرياض، مكتبة الكوثر، ١٤١٨هـ).
- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، د.ط (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- الفوزان، صالح بن فوزان، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، ط٤(الرياض، دار ابن الجوزي،١٤٢٠هـ).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، د.ط (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ).
- المكي، شمس الدين محمد بن أحمد الحنفي، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ط١(الشارقة، مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقة الإمارات، ١٤٢٧هـ).
- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر الشافعي، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي، ط١(دمشق، دار النوادر، ١٤٢٩هـ).
- المناوي، زين الدين محمد فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط١(مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ).
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، ط٣(بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤١٢هـ).
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، د.ط(القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ).

المجلات العلمية:

- (دراسة حديث واثلة بن الأسقع: أعطيت مكان التوراة السبع الطوال)، د/مرهف عبدالجبار سقا، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، جامعة المجمعة، العدد١٢، ربيع الأول ١٤٣٩هـ.
- (صحف موسى)، د/بدر عبدالرحمن الغيث، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد(٥١) جمادى الأولى، ١٤٣٧هـ.
- (الإيمان بالكتب)، أ.د/ محمد عبدالرحمن الجهني، مجلة التوحيد، مصر،(العدد٤٤٥، ١٤٣٠هـ).